

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكا برتهم للحق ومحا هتتهم ومنازعتهم فيه { ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم } أي عاينوه ورأوا نزوله وبashروا ذلك { لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين } وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكا برتهم للمحسوسات { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون } وك قوله تعالى : { وإن يروا كسفما من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم } { وقالوا لولا أنزل عليه ملك } أي ليكون معه نذيرا قال الله تعالى : { ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون } أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من العذاب كما قال الله تعالى : { ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين } و قوله { يوم يرون الملائكة لا يشري يومئذ للمجرمين } الاية و قوله تعالى : { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون } أي ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيها لكان على هيئة الرجل ليتمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك للتبيس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري قوله تعالى : { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء رسولا } فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخائق رسلا منهم ليدعوه بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع بعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى : { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم } الاية قال الصحاح عن ابن عباس في الاية يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور { وللبسنا عليهم ما يلبسون } أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالبي عنه : ولشبهنا عليهم و قوله { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاقد بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى : { قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين } أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسلاه وعاندوهم من العذاب والنکال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسلاه وعباده المؤمنين